المحاضرة الثالثة : **الأمثال والحكم في الأدب العربي القديم**

الأمثال: هي العبارة الفنية السائرة الموجزة التي تُصاغُ لتصوير موقع أو موقف أو حادثة ،وللمثل مورد ومضرب.

أما المورد فهو القصة أو الحادثة التي أطلق فيها لأول مرّة.

أما المضرب فهو الحال الذي نستخدمه فيه لمشابهته لقصة المثل.

الحكمة: هي قول موجز موافق للحق، يصلح قانونا من قوانين الحياة وهو ثمرة الحُنْكَة ونتيجة الخبرة، وخلاصة التجربة.

نشأة وتطور الأمثال والحكم:

من المعلوم لدى الجميع أن نشأة الأمثال العربية نشأت في العصر الجاهلي وتطورت ولا يمكن تحديدها بالسنة لأن المعلومات عنها وجدت مكتوبة كالخطابة، بما أن الكتابة ما كانت رائجة في ذلك العصر كيومنا هذا وعدم وجود التدوين،فتناقلها الأجيال شفاهية إلى أن ظهرت الكتابة ومن ثَّم سارع العرب إلى تدوينها منذ أواسط القرن الأول للهجرة ،إذ ألف فيها "صُحَار العَبْدي" في أيام معاوية بن أبي سفيان (41- 360) كتابًا ،كما ألف فيها "عُبَيْد بن شَرِيَّةَ" معاصره كتابًا آخر.[1] ويقول صاحب الفهرست إنه رآه في نحو خمسين ورقة. وبعد ذلك في القرن الثاني الهجري كثر تأليف الأمثال بكثرة. وأُلفَ فيه كتاب (أمثال العرب) للمفضل الضبي. وازدهرت الكتابة والتأليف في القرن الثالث الهجري منه كتاب (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام) قام بشرحه أبو عبيد البكري. وما تزال المؤلفات في الأمثال تتوالى حتى يؤلف (جمع الأمثال) لأبو هلال العسكري ويخلفه الميداني في كتابه (مَجْمَعُ الأمثال) وهو يقول في مقدمته إنه رجع فيه إلى ما يربو على خمسين كتابا.[2]

أما عن تاريخ الأمثال أن طائفة كبيرة مما روته الكتب السالفة يتحتم أن تكون جاهلية، وخاصة ما رواه "عُبيد ابن شَرِيَّة " إذ لم يحاولوا من جاءوا بعده ان يفردوا الأمثال الجاهلية والإسلامية. وبذلك أصبح من الصعب تمييز جاهليها من إسلاميها في كثير من الأحيان. ومع ذلك

---

[1]- فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر الرياض، السعودية ط1، 1420هـ/ 1999م ص 21.

[2]- شوقي ضيف- العصر الجاهلي ص404.

يورد أصحاب هذه الكتب مع ما يرونه من الأمثال إشارات تدل على جاهليتها وقدمها وهي تتخذ طريقين عندهم: فالطريق الأول أن يسوقوا مع المثل قصة جاهلية تفسره. مثل "جزاء سنمَار". وأما الطريق الثاني فهو أن ينسبوا المثل إلى الجاهليين. فحينئذ يتعين زمنه وتاريخهُ. وهناك كثيرون اشتهروا فيهم بالحكمة والأمثال السائرة، ومن يُغْرق في القدَم مثل: " لقمان عاد" من قبيلة يمنية التي كانت تنزل في الأحقاف والتي بَادَتْ ولم تبقى منها باقية في الجاهلية وقد ظل اسم "لقمان" يدور علي ألسنة شعرائهم. وجمع أمثاله "هِلَر" في كتاب سماه "أمثال لقمان".[3]

وقد أشتهر في الجاهلية بينهم كثيرون بهذا اللون من الأمثال وما يتصل بها من حكم، ويقول الجاحظ :"ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صَيْفِي[4] وربيعة بن حُذار وهرم بن قطبة وعامر بن الظَّرب العدواني ولبيدين ربيعة" ومن أمثال أكثم الصيفي نجد "رب عجلة تهب ريثا". "وأسوأ الآداب سرعة العقاب". "ربَّ كلام ليس فيه إكتتام". "إذا بالغت في النصيحة هجمت بك على الفضيحة". "لا تطمع في كل ما تسمع".[5]

أما الحكمة استمد الفرد العربي الجاهلي الحكمة من الحياة اليومية ومن التفكير الفطري، لأن حياتهم تمتاز برجاحة العقل وعمق النظر. وطبعت الحياة القبلية بطابعها على الحكمة الجاهلية. فنجد العشيرة تشترك في الجزيرة والواجب على العربي الوقوف بالصلابة بجانب أخيه العربي، والدعوة إلى الشجاعة وحفظ العرض والجود والتمسك بأهداف الصدق.

ولا شك أن العصر الجاهلي كان أكثر العصور الأدبية إنتاجا للأمثال و الحكم ،ويتجلى ذلك واضحا بالرجوع إلى كتب الأمثال و الحكم الكثيرة ،خاصة المؤلفة في العصر العباسي.

كما أشتهر هذا العصر بأسماء لأعلام ضرب بهم المثل كل حسبما عرف به ،وكمثال على ذلك: (أبلغ من قس).(أحكم من لقمان).(أوفى من السموأل) .(أجود من حاتم) .(أعدى من الشنفرى). (رجع بخفي حنين).(أطمع من أشعب).(مواعيد عرقوب).

وفي صدر الإسلام أتى القرآن الكريم هدى ورحمة للعالمين ،فكان جامعًا كل المبادئ والقيم السامية وفتح الإسلام الحنيف الآفاق لنمو الحكمة الجاهلية الداعية إلى المودة

---

[3]- شوقي ضيف، العصر الجاهلي. ص404- 405.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 365.

[5]- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 407.

والتآلف والكرم والشجاعة. والقرآن يشيد بالحكمة فقوله تعالى" ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله. ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد".[6]وكذلك في قوله(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب)سورة البقرة:الآية 269

ولقد جاء في أمثال القرآن الكريم واضحة أغلبها فيها المشبه صراحة إلى جانب المشبه به ،قال تعالى:(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء)سورة إبراهيم:الآية24.وقوله أيضا:(مثل الذي اتخذوا من الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن اوهن البيوت لبيت العنكبوت ولو كانوا يعلمون)سورة العنكبوت:الآية41

والرسول -صلى الله عليه وسلم- يدعو إلى تعلم الحكمة من أفواه الناس لأنها تمرة التجربة الإنسانية المتجددة المتغيرة فقال: "الحكمة ضالة المؤمن"."إن من الشعر حكمة ،وإن من البيان سحرا"،ومن حكمه وأمثاله: "المؤمن مرآة المؤمن"،لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى"،"ليلدغ المؤمن من جحر مرتين"،"دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"،"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"

ومن المصادر الأخرى للمثل والحكمة في صدر الإسلام، ما جاء على لسان الخلفاء والصحابة والعلماء والصالحين ومنها:

أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-إن البلاء موكل بالمنطق،و قول عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-" خذو الحكمة من أفواه المجانين" ،وكذلك الإمام علي- كرم الله وجهه- الذي كان يتمتع بالحكمة ومن حكمه نجد: "القناعة مال لا يُنْفَدُ". "العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى". " الصبر صبران. صبر على ما تكره وصبر على ما تحبه". "كل وعاء يضيقُ بما جُعِل فيه إلاّ وعاء العلم فإنه يتسع". "لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالأدب ولا ظهير كالمشاورة".

ويظل المفهوم الإسلامي للحكمة سائدًا في العصر الأموي الذي حاول العرب فيه الاحتفاظ بعروبتهم والابقاء على تراثهم الحضاري. فالحكمة عندهم تظل مرتبطة بالعلم لكنها أخذت تتطلع إلى الفلسفة اليونانية بتحفظ. فالحكمة في العصر الأموي وثيقة الصلة بالعلم. ولكن دائرة العلم تتسع هنا نظرًا لاتجاه الأمويين إلى الترجمة عن اليونانية فتتسع تبعًا لدائرة الحكمة.غير أنه لم يبتعد كثيرا عن الأمثال الجاهلية والإسلامية بصبغة دينية، ولعله كان لحكماء هذا العصر دور إيجاد حكم وأمثال مثل معاوية

---

[6]- سورة لقمان الآية 12.

بن سفيان ،وعمر بن عبد العزيز ،وإبراهيم بن يزيد النخعي والحسن البصري[7].

ومن أمثال وحكم عمر عبد العزيز :(آفة الرئاسة الفخر).(لاينفع القلب إلا ما خرج من القلب).(من عد كلامه من عمله قل كلامه).(أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم).(أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم).

كما نجد الحسن البصري في حكمته الوعظية: (من عرف ربه أحبه،ومن عرف الدنيا زهد فيها).(عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك).(إن النفس أمارة بالسوء فإذا عصتك في الطاعة ،فاعصها أنت بالمعصية).

وأيضا نجد معاوية بن أبي سفيان له أمثال وحكم مثل:(الغريب لمن لا أدب له).

وفي العصر العباسي ازدهرت حركة النقل والترجمة عن الثقافات الهندية والفارسية واليونانية، وقد نشط العرب نشاطًا ظاهرًا بعد احتكاكهم بغيرهم من الأمم ذات الحضارات الراسخة في نقل تراث الحضارات القديمة للاستفادة منها.

وقد شهد العصر العباسي انتشارا للمعارف والعلوم والتأليف وانعكست على الحياة الأدبية وفنون النثر خاصة،فكان للمدينة والحياة الجديدة أثر بالغ في الحكمة المبنية على الخبرة والمعرفة،ولقد اصطبغت بصبغة المدينة الجديدة،وانطلقت قوية المبنى في قسم كبير منها،وقد كانت ثمرة الخبرة والمعرفة،ثمرة العقل الاختياري،والعقل التفكيري،ولهذا كانت الحكمة العباسية شديدة التأثير و شديدة الانطلاق و الانتشار ولهذا كان لها قيمة إنسانية قحة،وكانت الكنز الذي اغترف منه الناس على ممر العصور[8]

وغدا إنتاج الأمثال والحكم في العصر العباسي أمرا ميسورا عند العرب والفرس والمولدين،وجمعها وتدوينها متاحا لمن اجتهد فيها،وقد ألفوا فيها الكتب،ومن أشهرها "مجمع الأمثال" للميداني في نحو خمسين كتابا مرتب على حروف المعجم ،بعد أضاف إليه أمثال المولدين،و"المستقصي في الأمثال" للزمخشري.

ومن أمثال هذا العصر:(عند الامتحان يكرم المرء أو يهان).(ماأقبح الخضوع عند الحاجة،والتكبر عند الاستغناء).(معالجة الموجود خير من انتظار المفقود).(من عَير عُير).(الخنفساء في عين أمها راشية).(الجنون فنون).(عذره أشد من ذنبه).[9]

الأمثال والحكم في العصر الأندلسي:

---

[7]الميداني .مجمع الأمثال ج 1 ص12-13

[8]حنا الفاخوري،الحكم والأمثال.دار المعارف.مصر.ط.4.1980،ص63

[9]الثعالبي،التمثيل والمحاضرة.تحقيق :عبد الفتاح محمد الحلو،الدار العربية للكتاب ط،2.1981"ص.45.44

لقد تأثرت الأمثال والحكمة في العصر الأندلسي بما كان يجلو في الأدب العباسي "فقد كان صدى لحكمة بني العباس كما كان الأمر في أدب الأندلسي،وذلك أن عهد الانحطاط في الأدب في عهد انهيار فكري وفني،فكان الأديب فيه شديد التلفت إلى من سبقه شديد التقليد والزخرفة اللفظية والبديعية،شديد التلهي بالقشور والظواهر الفنية،وكذلك كان الأديب الأندلسي صادقا في التعمق في التحليل،والانفلات في أجواء الفكر،صادقا عن التغلغل في الأغوار،يهمه أن يقلد الأديب العباسي ،وإن يلوك أفكاره،ويردد بعض حكمه من غير ما ابتكار ولا تجديد"[10]

ويرجع هذا الترابط الوثيق بين الأدبين العباسي والأندلسي خاصة الأمثال والحكم إلى طبيعة المرحلة التاريخية من جهة،وإلى كتب الأمثال والحكم العباسية التي دخلت الأندلس من جهة أخرى،وغدت مرجعا في مجال اختصاصها ،وهي الكتب التي رصدها ابن خير الاشبيلي في فهرسته والتي تداولت في الأندلس وتم دراستها والاستناد عليها ،ومنها :كتاب "أمثال لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري"،وكتاب "الأمثال لعبد الملك بن قريب الأصمعي" ،وكتاب" الأزهر لابن الأنبا ري"،وكتاب" أفعل من كذا لأبي علي البغدادي"،وكتاب "المجلة في الأمثال عن أبي عبيدة معمر بن المثنى"،وكتاب "الأمثال للمفضل الضبي"[11]

ومن الأمثال والحكم الأندلسية :(لو طلب لبن الطير في اشبيلية وجد)،(من غاب خاب وأكل نصيبه الأصحاب)،(أمدح البلدان وأسكن جيان)

،

ومن أشهر البلغاء والأدباء في الأندلس ابن عاصم الأندلسي الغرناطي ،ومن أمثاله وحكمه نجد:(زيادة الظلم خراب).(الخير عادة والصبر عبادة).(جازي الكريم بفعله وأترك اللئيم ولا تنظر إلى عمله).(ثوب خشن يسترك خير من ثوب حرير يفضحك).(حصل زادك ليوم معادك تبلغ مرادك).(زدناه قربا زادنا هربا)ز(إن لم ينفعك ألباز أنتف ريشه).(زيادة الشيء نقصان).

<u>الفرق بين المثل والحكمة:</u>

1- أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال، والمثل خاص بالأقوال.

2-أن الحكمة قد يقع فيها التشبيه وقد لا يقع والمثل وقع فيه التشبيه.

---

[10]حنا الفاخوري.ص،64.63

[11]ابن خير الأشبيلي.فهرسة ابن خير الأشبيلي.تحقيق:محمد فؤاد منصور ،دار الكتب العلمية .بيروت.لبنان،ط1 1.1998

3-أن المقصود من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ. ولا يبعد أن يقال بعد ذلك أن المثل هو من الحكمة فهي تعُمُهُ وتعم غيره. ومن هنا قرر الإمام أبو هلال العسكري صاحب كتاب (جمهرة الأمثال) "أن كل حكمة سائرة تسمى مثلاً".

4-أن المثل ينطلق من حاجة نفسية عميقة وهو أكثر شعبية من الحكمة وأعم وأشمل منها.

5-المثل يتسم بالعمومية ،أي يكون نتاج عامة الناس،بينما الحكمة في الغالب هي نتاج خاصة الناس،أي حكماء الناس وعقلائهم.

6-المثل يأخذ طابع المشافهة عادة،بينما الحكمة أغلبها مدون في الشعر والخطب ونحوها.

7-للمثل مورد ومضرب ،وأما الحكمة فهي خلاصة لتجربة إنسانية.

المحاضرة الرابعة: **السرد العربي**

القديم- المقامات-

إن السرد في اللغة هو التتابع والتسلسل[12]. أما في الاصطلاح هو إخبار من صميم الواقع أو نسج الخيال أو من كليهما معا في إطار زماني ومكاني .فهو عبارة عن مجموعه من الأحداث المتسلسلة والمتتابعة ،تقوم بأدائها مجموعة من الشخصيات وفق عقدة وحل في الأخير.

نشأته:

لقد كان السرد عند العرب منذ القديم متوارث شفاهيا على شكل نقل للأخبار وكان على شكل أساطير فسروا بها مظاهر الحياة التي عاشوا فيها ونقلوا لنا تجاربهم وحكمتهم في شكل حكايات ومأثورات شعبية عبر الأجيال.

فكان السرد العربي القديم مجرد قصص وحكايات دارت علي سير الأبطال من ملوك وشعراء وأساطير الأولين والعشاق والكهان ،حيث عرفوا منذ العصر الجاهلي هذا اللون النثري ،فقد كان لهم قصص وأخبار تدور حول الوقائع الحربية ،وتروى أساطير الأولين وحكايات العشاق وحكاية الشعراء مثل حكاية عنترة وعبلة، والمرقش الأكبر مع محبوبته أسماء . إلى أن جاء الإسلام الذي جيئ بقصص الأنبياء وسير الرسل ،وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام وسير الصحابة-رضي الله عنهم-

وفي العصر الأموي نمت القصة خاصة ،وتضخمت حتى أصبحت عملا رسميا يعهد إلي رجال رسميين يتقاضون عليه الأجر،حيث تدور قصصهم حول ملوك الدولة الأمية وأحداث الحروب .

أما في العصر العباس فقدي تطور السرد وتنوع حيث أصبح غنيا بمضامينه وأساليبه فظهرت الترجمة والنقل،مثل ما ترجمه ابن المقفع في كتاب كليلة ودمنه من الفارسية الهندية

---

[12] -ابن منظور، لسان العرب، مجلد 6تحعامر احمد حيدر، راجعه عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية،بيروت،ط1,2003،ص233

إلي العربية للفيلسوف الهندي بيدبا ،ونجد كتاب ألف ليلة وليلة الذي ترجم إلي العربية وأيضا كتاب الجاحظ للبخلاء .كما ظهرت المقامات مع بديع الزمان الهمذاني.

وهذا بالإضافة إلي القصص الشعبية وملاحم البطولي التي اتخذت لها شكل الرواية ،وأشهرها في العصر العباسي سيرة عنترة وسيرة بني هلال وغيرها.

وكما أن القصة وجدت في الأدب الأندلسي مثل قصة حي بن يقضان لابن طفيل ورسالة التوابع والزوابع لابن شُهيد الأندلسي وهي قصة خيالية.

أنواع النص السردي:

أ-الحكاية: تحكي واقعة من وقائع الحقيقة أو الخيالية الأسطورية أو الخرافية ، دون الالتزام بقواعد الفن القصصي.ويمكن أن تمثل لها بالنوادر والحكايات التي ترويها كتب الأدب .والحكاية لها بداية ووسط ونهاية ،وهي تصور التجارب الرومانسية الإنسانية و البطولية .كذلك رصد حالة مجتمع خلال فترة زمنية محددة كأغلب الروايات، فهي سرد لأحداث قامت بها شخصيات في زمان ومكان معين بدون عقدة .فالحكاية نثرية أو شعرية ذات مغزى أخلاقي في الأغلب وليس على الإطلاق من الحيوانات، أما موضوعها فيرتبط بما فوق الطبيعي أو الغريب من الوقائع ،وغالبا ما تعود أصولها إلي مصادر التراث الشعبي مثل نوادر أشعب.

ب-الرواية: نص سردي طويل تجتمع فيه أكثر من قصة واحدة .ترتبط وتشارك فيما بينه.

ج-القصة: هي سرد لأحداث قامت بها شخصيات في زمان ومكان معينين لها بداية وعقدة ونهاية.

د-الأقصوصة: هي القصة القصيرة في نصف صفحة .

هـ-الأسطورة: سرد أحداث من المحض لا صلة لها بالواقع .قامت بها شخصيات هي الأخرى من نسج الخيال تكون في أمكنة خيالية وغريبة،وفي زمان خيالي أيضا.

و-الحكاية العجيبة: وهي نسج لأحداث خيالية قامت بها شخصيات خيالية في زمان ومكان من نسج خيال الكاتب لأنها تعكس الواقع بطريقة رمزية.

ر-**السيرة:** هي سرد لأهم الأحداث التي عرفها مسار الشخصية وتعرف بنقطة التحول.

ع-**اليوميات:** سرد لأحداث نمر بها في حياتنا اليومية مع تسجيل اليوم والساعة والتاريخ.

عناصر تشكيل النص السردي:

ا-**الشخصيات:** وتكون رئيسية وثانوية ،فهناك أبطال يستمد ذكرهم طول القصة ويكون لها نصيب الأسد في الحكاية.أما ثانوية تذكر بشكل أقل من ذكر العناصر الرئيسية ،وقد تذكر مرة ولا تذكر ثانية.

ب-**الأحداث:** هناك حدث رئيسي وأحداث ثانوية ،وهي الأفكار الرئيسية والمغزى الأساسي من الحكاية الذي يوصل بها الكاتب فكرته من خلاله للقارئ والمستمع بالتأكيد.

ج-**العقدة:** وهنا تصل الحكاية الي قمة ذروتها لتشد القارئ لإكمال الحكاية ،وهي تأزم الأوضاع.

د-**الصراع:**لكل نص سردي صراع قائم بين صنفين .وهذا الصراع يكون ماديا بين الشخصيات فيما بينها ،وهناك صراع معنوي مثل الخير والشر وصراع العبودية مع الحرية وصراع العلم مع الجهل.

هـ-**الحل:** وهنا يتوصل الكاتب ليوضح الهدف من العقدة ،وتوضيح مغزاه، ويكون هذا الحل أو النهاية أما مأساة أو ملهاة أو دراما(مأساة وملهاة).

و-**الزمان:** وهي الأحداث التي تدور في زمن الماضي والحاضر والمستقبل.ونستشفها من خلال الأفعال.

ر-**المكان:** وهو مسرح الأحداث التي لعبت فيه الأدوار بالنسبة للشخصيات وهي أماكن مفتوحة وأماكن مغلوقة ،أما المنفتحة في التي ليس لها حدود مثل: بحر وصحراء وغابة وجبل...الخ. آما المنغلقة فهي التي تتمتع بحدود مثل بيت ومقهى و سجن. الخ.

ث- **الحوار:** ويكون الحوار داخلي ،أي بين النفس ونفسها (الهمس)أو(المونولوج)،وحوار خارجي يكون بين الشخصيات فيما بينها.

ع-**اللغة** :فاللغة هي التي تربط وتجمع عناصر القصة وتكون عاده بالفصحى تتخللها كلمات أجنبية وأخري عامية.

ز-الوصف:ويكون في وصف الشخصيات داخليا وخارجيا ،فالوصف الداخلي يكون معنوي من خلال أفعال الشخصيات نكتشفها مثل: الأنانية والغيرة والحقد والوفاء.....الخ. أما خارجي يكون مادي يتمثل في وصف القامة من طول وقصر ولون البشرة والعينين والشعر.....الخ .وأيضا هناك الملابس من ألوان وأناقة ورثة .....الخ

ويوجد أيضا في الوصف وصف الطبيعة والأماكن

خصائص ومميزات السرد العربي القديم:

- ✓ الغاية والهدف منه سرد الأحداث ونقلها
- ✓ يمتاز بالجمل الإخبارية والإحداث
- ✓ كثرة أفعال الحركة والأفعال الماضية لسرد الأحداث والمضارعة لوضع الخيال في خضم الأحداث
- ✓ ينمي الخيال لذا القارئ.
- ✓ كثرة أدوات الربط.
- ✓ غرس خبرة اجتماعية للقارئ ومعرفية.

فن المقامات:

المقامة في اللغة تعني المجلس. ومقامات الناس مجالسهم،ويرى ابن منظور "أن المقامة استعملت بمعناها المجازي لتدل على القوم الذين يجلسون في المجلس،ويضيف أن المقامة بضم الميم (الإقامة).يقال أقام الرجل إقامة ومقامة (كالمقام والمقام)بفتح الميم وضمها[13]

وبديع الزمان الهمذاني نفسه يستعمل المقامة بمعنى مجلس ،قال في المقامة الوعظية[14] (قال عيسى بن هشام:فقلت لبعض الحاضرين،من هذا؟قال: غريب قد طرأ لا أعرف شخصه،فأصبر عليه إلى آخر مقامته ،لعله ينبئ **بعلامته.....)**

المقامة البديعية:

تعنى المقامة الفنية الجنس الأدبي الذي ظهر في القرن الرابع الهجري وبالتحديد في العصر العباسي ،الذي ازدهرت فيه مختلف الفنون النثرية ،ويعود فضل إنشائها إلى بديع الزمان الهمذاني[15](358هـ/395هـ)،(969م/1007م) ولذلك نسبت إليه.

---

[13] ص242 لسان العرب

[14]أبو الفضل أحمد بن الحسين .مقامات بديع الزمان الهمداني،قدم وشرح محمد عبده،دار الكتب،بيروت،ط2.2003،ص151

والمقامة قصة أو حكاية قصيرة بطلها شخصية خيالية تتصف بالكدية والاحتيال ،تقوم على حدث طريف أو ملحة ،وتتميز بأسلوب أنيق،وليس الغاية من إنشائها تذوق جمال القصص ولا إفادة الوعظ ولا تحصيل العلم ،وإنما هي قطعة أدبية فنية قد يقصد بها (الفن للفن) وتجمع موارد اللغة ونوادر التركيب في أسلوب مسجوع وموشي بحلل البديع،يعجب أكثر مما يؤثر ،ويلذ أكثر مما يفيد ولم تراع قواعد الفن القصصي فيما كتب من هذا النوع وإنما صرفوا جهودهم إلى تحسين الألفاظ وتزيينها [16]

يرى كثير من الدارسين أن موضوعات المقامة تدور أغلبها حول الكدية و الاحتيال والحقيقة أن الكدية صفة لصيقة بالبطل وحده وأن لكل مقامة موضوعا واجتماعيا ،دينيا ،فلسفيا.... [17]

أسند بديع الزمان الهمذاني البطولة في مقاماته إلى أبي الفتح الاسكندري ،وأسند رواية أحداثها إلى عيسى بن هشام ،وتجمع البطل والرواية صلة وثيقة ومعرفة قديمة ،فهو يراه في كل حادثة ويسمعه في كل مجلس ،ثم يروي ملحة وطرائفه واحتياله للناس[18].

نشأة المقامة:

يرى أحمد ضيف أن المقامة أصلها فارسي ،وأنها انتقلت من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية ،وهذا القول مردود عليه ،باعتراف مؤلف فارسي هو محمد تقي بهار في كتابه"سبك شناسي يا تاريخ تطور نثر فارسي"[19]الذي يرجع أن لفظ مقامة من ابتكار بديع الزمان الهمذاني،وذلك أن لكل اختراع في الأدب العربي يرجع إلا وله صدى في الأدب الفارسي.

ويرى أن ظهور المقامات في النثر الفارسي يعود إلى القرن السادس الهجري ومثل بمقامات القاضي حميد الدين عمر بن محمد المحمودي البلخي(559) كنموذج لذلك.

وأضاف القاضي حميد الدين أراد تقليد مقامات كل من بديع الزمان و الحريري ولكنه تأثر ببديع الزمان وقلده أكثر ،كما يبدو ذلك من المقامة الثانية والعشرين المسماة"المقامة الشكباجية"التي هي نفس ترجمة وتقليد المقامة المضرية لبديع الزمان الهمذاني"[20]

---

[15] يوسف نور عوض،فن المقامات بين الشرق والمغرب،دار القلم ،بيروت،لبنان،ط1,1979،ص08

[16]أحمد حسن الزيات،تاريخ الأدب العربي،ص292

[17]يبين المشرق والمغرب،ص08وسف نور عوض فن المقامات

[18]ليندة قياس لسانيات النص.النظرية والتطبيق.مقامات بديع الزمان الهمذاني أنموذجا.تقديم عبد الوهاب شعلان،مكتبة الأداب القاهرة .دب2009ص90

[19]مصطفى الشكعة،بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية ص300

[20]المرجع نفسه ص301

إن المنشئ الحقيقي للفن المقامي ،يذهب المستشرق الإنجليزي"مارغوليوث"في دائرة المعارف الإسلامية إلى أن بديع الزمان الهمذاني زعم أنه ابتكر فن المقامات ،والحقيقة أن أبا بكر ابن دريد هو الذي أنشأ هذا الفن[21]،ويميل إلى هذا الرأي زكي مبارك الذي ذهب إلى أن عمل المقامات ليس من ابتكار الهمذاني ولكنه عارض بها أربعين حديثا أنشأها ابن دريد، ويقر"جورجي زيدان"أن أحمد بن فارس له فضل السبق في وضع المقامات لأنه كتب رسائل نسج على منوالها العلماء ،واشتغل عليها بديع الزمان الهمذاني[22]

ويجزم"مارون عبود"بكل وضوح أن فن المقامة من إبداع الهمذاني،فلا لابن فارس،ولا لابن دريد يد في إنشائها ويرى أن مبدعها الحقيقي هو بديع الزمان الهمذاني ،وأن الكتاب الذين جاؤوا بعده قد وقفوا عندما اجترعه البديع ،ولم يزيدوا عليه فله فضل الريادة والأسبقية في هذا المجال ،ولم يتفوق غليه إلا الحريري لما تتميز به لغته من شرف اللفظ وجودة المعنى[23]

يتضح من كلام مارون عبود أن البديع أنشأ هذا الفن من عدم،وأنه لم يتأثر بأي نموذج فني سبقه ،وهذا الرأي لاشك أن فيه إعادة نظر ،أما عبد المالك مرتاض "فيذكر أن البديع هو مؤسس فن المقامة وهو نفس ما ذهب إليه مارون عبود إلا أن مرتاض لا ينكر تأثر بديع الزمان بسواه ،فمن التعسف أن يجزم أي باحث بأن البديع أوجد مقاماته من عدم [24]

فإذا لم يكن البديع قد أنشأ مقاماته من عدم ،فلاشك أن هناك نماذج إنسانية قد تأثر بها وساعدته على الهام نموذجه ألمقامي ،وهذا ما أكده يوسف نور عوض ،إذ أشار إلى أن هناك جملة من المؤثرات الفنية ،والأدبية أحدثت أثرها في صناعة المقامة،تمثلت أساسا في كتاب البخلاء ورسالة التربيع والتدوير للجاحظ وحكاية أبي القاسم البغدادي ورسائل إخوان الصفا،بالإضافة إلى حكايات شعبية مثل حكاية عنترة بن شداد وشخصية حاتم الطائي ،والقصص المترجمة ككتاب كليلة و ودمنة وقصة ألف ليلة وليلة.....

الخصائص العامة لفن المقامة:

-لكل مجموع مقامات مجلس واحد لا تنقل منه إلا ناذرا أي(وحدة مكان ضيقة)[25]ولها بطلان هما الراوية و المكدي.

---

[21]دائرة المعارف الإسلامية .مادة الهمذاني.مج3ص471

[22]تاريخ الآداب العربية ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر ،1993،ج2،ص619

[23]أداب العربص318

[24]المقامات في الأدب العربي،الدار التونسية للنشر ،تونس،ط 2 ،1988،ص139

[25]عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي ،ص58

أما الراوية:فهو الشخص الذي ينقل الأحداث المقامة من المجلس الذي تحدث فيه.

وأما المكدي:فهو في الغالب شخص خيالي وظيفته النصب و الإحتيال على الناس حتى يحصل على ما يرغب عليه،وشخصية البطل هذه في الحقيقة هي انعكاس لشخصية المؤلف الذي يتميز بذكائها الحاد ،وفطنتها لشديدة واطلاعها لواسع على العلوم الكثيرة،وقدرتها الكبيرة على نظم الشعر وحل الألغاز،وتأليف الخطب وقول الأحاجي.

-كما لكل مقامة اسم خاص بها،وأسماء المقامات في الغالب مأخوذة من أسماء المدن أو المحلات أو اللون أو بعض الأكلات الشعبية كالمقامة المضيرية مثلا.

-للمقامات موضوعات متعددة ومتنوعة منها الأدبي والفقهي ،والفكاهي ،والخمري،والمجوني[26] وهذه المواضيع في الغالب تخدم غرضا واحدا يتمثل في تقديم صورة شاملة لواقع البيئة ،وتصوير أحوال الناس في ذلك العصر ،ويزخر أسلوب المقامة بمختلف الألوان البيانية ،من تشبيهات واستعارات وكنايات .وأما المحسنات البديعية فهي مطردة ولا تخلو منها مقامة وبخاصة السجع فقد أكثر منها لحد الإفراط.

وقد حرص مؤلفو المقامات على انتقاء الألفاظ،وتوليد الصور والإكثار من اقتباس الشعر ،أما ظاهرة التضمين فواضحة لديهم ،وأكثر ما تتجلى في المعنى القرآني ،والحديث الشريف والأمثال السائرة.

وتعد المقامات تحفة رائعة من تحف الأدب العربي ،وفتحا لمحاولة كتابة القصة العربية ،ورغم ما كتب عن هذا اللون النثري قديما وحديثا إلا أنه لايزال مجالا خصبا للمزيد من الدراسات.إنه في الحقيقة يمثل كنزا يقتضي الكشف عنه مجهودات مختلفة ومتواصلة.[27]

---

[26] حنا الفاخوري ،الموجز في الأدب العربي وتاريخه،ص187

[27] ليندة قياس، لسانيات النص،النظرية والتطبيق،مقامات بديع الزمان الهمذاني أنموذجا،ص93